مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(١ كورنثوس ١: ١٠–١٧)

يا إخوةُ أطلُبُ إليكم باسمِ ربِّنا يسوعَ المسيحِ أن تقولوا جميعُكم قولاً واحداً وأن لا يكونَ بينكم شِقاقاتٌ بل تكونوا مكتَمِلينَ بفكرٍ واحد ورأيٍ واحد* فقد أخبرني عنكم يا إخوتي أهلُ خُلُوي أنَّ بينكم خصوماتٍ* أعني أنَّ كلَّ واحدٍ منكم يقول أنا لبولُسَ أو أنا لأبلُّوسَ أو أنا لصفا أو أنا للمسيح* ألعلَّ المسيحَ قد تجزَّأ. ألعلَّ بولسَ صُلِبَ لأجلِكم أو باسمِ بولسَ اعتمدتم* أشكرُ الله أنّي لم أعمِّد منكم أحداً سوى كرِسبُس وغايُوس* لئلاَّ يقولَ أحدٌ إنّي عمَّدتُ باسمي* وعمَّدتُ أيضاً أهلَ بيتِ استفاناس. وما عدا ذلك فلا أعلمُ هل عمَّدتُ أحداً غيرَهم* لأنَّ المسيحَ لم يُرسلني لأُعمِّدَ بل لأبشِّر لا بحكمةِ كلامٍ لئلاَّ يُبطَلَ صليبُ المسيح.

خبز البَرَكة

يروي لنا إنجيل هذا الأحد حدثاً تستعيده ليتورجيتنا غروب كل عيد، سيدي أو لأحد القديسين، في تبريك الخبزات وتوزيعها على المؤمنين، ويتناولها هؤلاء مقرِّين بأن المسيح وحده مشبعهم. في النص أن الجموع خرجت من مدنها ماشية لتلتقي المسيح، الذي كان قد انصرف قبلاً ليختلي بأبيه منفرداً، بحسب الآية التي تسبق مباشرة إنجيل اليوم. الجموع انجذبت إلى المسيح، من هنا وهناك، وهو بدوره خرج إليهم من خلوته، كما خرج من الحضن السماوي إلى البشرية يوم تجسد، يدفعه حب لا يقاس. تاق إليه الناس من وجعهم فأتوا. لعله لهذا يفتتح الإنجيلي الرواية بقوله «تحنّن عليهم وشفى أمراضهم».

يلفتنا هنا أن السيد شفى أمراض الوافدين إليه قبل أن يقدّم لهم الخبز، حتى متى صاروا أصحاء يتأهلون لتناول خبز البَرَكة. لعل في هذا أولى الإشارات إلى سر التوبة (الإعتراف) لأجل شفاء النفس من أمراضها (خطاياها) قبل أن تتقدّم لتناول خبز البَرَكة الجديد، جسد الرب ودمه المقدَّسَين. في هذه القراءة نرى، في عبارتي «تحنن» و«شفى»، تأكيداً على أن سر التوبة شفاء وليس دينونة، وهو للحياة وليس للحُكم أو القصاص. كما انه لا يمكن للنفس المنغلقة أو المعمية بخطاياها أن تسمع أقوال السيد وتفهم تعاليمه. لذا، وبعدما شفي الناس من أمراضهم، أمضوا النهار مع السيد يفرحون بعذوبة حضوره ومحبته ورعايته.

العدد ٢٠٠٨/٣٢

الأحد ١٠ آب

تذكار القديس الشهيد لفرنديوس

رئيس الشمامسة

اللحن السابع

إنجيل السَحَر الثامن

«ولما كان المساء»، طلب إليه تلاميذه أن يصرف الجموع ليبتاعوا طعاماً. لا شك أن دافع التلاميذ كان همّ الناس، وفيه شيء من محبة، ولكنها محبة بشرية لم تبلغ بعد نُضجها: كثيراً ما ننظر إلى الخدمة أو عمل الخير بحسابات بشرية بحتة، تنسينا الله القائم بيننا والقادر أن يعطي ويزيد. المكان قفر والوقت مساء، والظرف صعب، لكن الرب هنا، وهو وحده يعيل ويُشبِع. في تركيز الإنجيلي متى على ظرفي الزمان والمكان لا بد لنا أن نرى صورة لواقعنا الحالي. فالعالم في صحراء روحية، الله فيها مغيَّب

الإنجيل

(متى ١٤: ١٤–٢٢)

في ذلك الزمان أبصرَ يسوعُ جمعاً كثيراً فتحنَّنَ عليهم وأبرأ مرضاهم* ولمَّا كان المساءُ دنا إليهِ تلاميذُهُ وقالوا إنَّ المكانَ قَفْرٌ، والساعةُ قد فاتَتْ فاصْرِفِ الجموعَ ليذهبوا إلى القرى ويبتاعوا لهم طعاماً* فقال لهم يسوعُ لا حاجةَ لهم إلى الذهابِ أعْطوهم أنتم ليأكلوا* فقالوا له ما عندنا ههنا إلاَّ خمسةُ أرغفةٍ وسمكتانِ* فقال لهم هلمَّ بها إليَّ إلى ههنا* وأمر بجلوسِ الجموع على العشبِ. ثمَّ أخذَ الخمسةَ الأرغِفَةِ والسمكتَينِ ونظرَ إلى السماءِ وباركَ وكسرَ وأعطى الأرغِفَةَ لتلاميذهِ والتلاميذُ للجموع* فأكلوا جميعُهم وشبعوا ورفعوا ما فَضُلَ من الكِسَرِ اثنتَيْ عَشْرَةَ قُفَّةً مملوءةً* وكان الآكِلونَ خمسَةَ آلافِ رجلٍ سوى النساءِ والصِبيان* وللوقتِ اضْطَرَّ يسوعُ تلاميذَهُ أن يدخلوا السفينةَ ويسبِقوهُ إلى العَبْرِ حتى يصرِفَ الجموع.

أكثر فأكثر، وتغييب الله يزيد العالم ظلمة، وفي الظلمة قلق ولا رجاء.

نعود إلى رواية المعجزة، ونقف عند ردّ السيد الطلب إلى التلاميذ: «أعطوهم أنتم ليأكلوا». هؤلاء التلاميذ رافقوا السيد وتغذوا بكلماته وآياته، فينبغي عليهم إذاً أن يكون لديهم ما يكفي من الإيمان للقيام بهذا العمل، خاصة وأن الرب نفسه معهم. المسيح هنا يضع المؤمنين به أمام مسؤولية تثمير إيمانهم ومواهبهم، مهما بدت محدودة (ما عندنا هنا إلا خمسة أرغفة وسمكتان)، في خدمة من نزل من السماء لأجلهم. الله هنا يدعو محبّيه إلى أن لا يبخلوا بالقليل الذي عندهم، أو أن يزدروا به، بل أن يقدّموه فيُشبع كثيرين ويبقى منه أكثر. هذا هو الفرق بين المحبة البشرية التي تعمل بحسابات بشرية، وهنا قطعاً يستحيل أن تُشبع خمسة أرغفة جموعاً، والمحبة التي الله محورها والتي حساباتها غالباً ما تعاكس كل منطق بشري مألوف. الفتات الذي بقي من الأرغفة الخمس (اثنتَي عشرة قفة) هو أكثر من الأرغفة الخمسة نفسها. الكنيسة تقدّم إلى الله من أجل أبنائها عبادات على قدر طاقتها، والله يحوّلها لهؤلاء الأبناء حياة أبدية. في المعمودية نقدّم ماء وزيتاً وصلوات، فيهب الله المعمود روحه القدوس واتحاداً في جسد ابنه الوحيد. خبزاتنا الخمس وسمكتانا، في الكنيسة، تصبح عطايا إلهية لا حد لها ولا قياس.

في ما يختص بالمادة موضوع المعجزة، الخبزات والسمكتين، ثمة رمزية لا بد من التوقف عندها لأجل قوة ما ترمي إليه. فالخبزات الخمس، والمقدَّمة هنا إلى أناس ممن عرفوا الناموس، ترمز إلى أسفار الناموس الموسوية، والتي غايتها أصلاً المسيح كما يقول القديس بولس (رو ١٠:٤). بمعنى آخر، وهذا يصحّ معنا في عالم اليوم، إن التزام القوانين الإلهية (أو الإكتفاء بها) ما عاد وحده يكفي. الناموس الإلهي، وبالأخص لمن صاروا على اسم المسيح، هو المسيح نفسه عبر إنجيله وعيش كنيسته.

في معنى آخر للخبزات يرى آباؤنا إشارة إلى الحواس الخمس. لقاء المسيح بمن عايشوه بالجسد كان عبر حواسهم كما يقول الإنجيلي يوحنا في مطلع رسالته الأولى «الذي كان من البدء، الذي سمعناه، الذي رأيناه بعيوننا، الذي شاهدناه، ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة». هذه الحواس إن بقيت على ماديتها لا تكفي للحياة. أما متى التقت المسيح وامتلأت منه فهي تتنقى بل وتتأله، وترتقي إلى ما فوق مادية الحواس، لتصبح أدوات اتصال المؤمن الدائم بالسماء. أما بالنسبة للسمكتين، فترمزان إلى وجهَي العهد القديم، الناموس وكرازات الأنبياء، والتي تمت كلها بالمسيح. أما بالنسبة لنا اليوم، أبناء كنيسة المسيح، فالسمكتان هما العهدان القديم والجديد، اللذان لأنهما تحققا بحضور المسيح صارا لنا الغذاء المُشبِع.

في إنجيل القديس متى يُشبع السيد الناس طعاماً مرتين: مرة في معجزة نصنا لهذا اليوم، والثانية في الإصحاح الذي يليه (متى ١٥: ٣٢–٣٨). في حياته العلنية صنع السيد بين الناس آيات ومعجزات لا تُعَد، إثنتان منهما فقط موضوعهما الطعام. لا شك أنّ السيد أراد من هذا أن لا يبقى الناس عبيداً لبطونهم،

تأمل

ان الخبز السماوي الذي يشدِّد ويقوّي قلب الإنسان سيعطينا الشجاعة والصبر والقوة وسيطرد الكسل من أرواحنا. جاء السيد ليحمل لنا هذا الخبز السماوي، وعلينا أن نطلب هذا الخبز، هذه المائدة الروحية، بكل الوسائل حتى لا نتعرّض لخطر الجوع الروحي. فلا نبتعدنّ عن المائدة الروحية بحجة عدم استحقاقنا. هناك كهنة. فلنتقدمنّ من الروحانيين ونعترفنّ بانسحاق لنتمكن من أن نأكل جسد الرب الطاهر ونشرب دمه الكريم. وعندما نهتم بالأمور السامية ونحفظ قلوبنا نقية فلن نكون من المدانين بالخطايا الكبيرة التي تمنعنا من المناولة الإلهية. فكما ان المناولة لغير المستحق تعتبر جرماً مميتاً كذلك الامتناع عن المناولة جرم أيضاً بالنسبة للمسيحي اليقظ الحياة. أولئك الذين يملكون الأهواء في نفوسهم وخصوصاً هوى العداوة والغِلّ نحو الآخرين لا يجوز أن يتناولوا سر الشكر قبل أن ينقّوا قلوبهم ويتصالحوا مع الأشخاص الذين أحزنوهم. أولئك الذين يملكون نفوساً نقية صالحة ويجاهدون ليبقوا أحراراً من الأهواء ويشعرون بنقائص روحية صغيرة لحاجاتهم المادية ولشبعهم المؤقت. ونحن في الكنيسة نستعيد هذا الحدث ليتورجياً غروب الأعياد لكي لا ننسى أن المسيح مُشبعنا، وفي القداس الإلهي ينادي المرتل بأن «نطرح عنّا كل اهتمام دنيوي إذ إننا مزمعون أن نستقبل ملك المجد». لقد ترك الناس في إنجيل اليوم بيوتهم وأماكن راحتهم، مشاة، إلى العراء للقاء السيد، ولما مال بهم النهار وجاعوا ما تراجعوا. إذ ذاك فقط أطعمهم السيد وأشبعهم وفاض عنهم الكثير. المسيحي الأصيل يتهيأ لسماع السيد (في الإنجيل) وللجلوس إلى مائدته (في المناولة المقدسة) بالصوم، وفحص الذات بالتوبة لاقتبال الشفاء (بالإعتراف). هذا يترك يومياته، كما تركت الجموع مدنها، ويأتي إلى السيد بالجهاد الروحي كما أتت الجموع مشياً، إلى القفر أو الخلاء، أي إلى حيث لا يشتت تركيزه على السيد بشيء.

«بما أنكِ أمّ الحياة»

يلتئم شمل الكنيسة في الخامس عشر من شهر آب حول جسد السيدة والدة الإله الراقد، الحامل الحياة والخلاص لجنس البشر. هذا النور والنعمة اللذان طالما تلقفتهما الكنيسة من أجساد القديسين الراقدين بالرب هما عربون القيامة العامة والحياة الأبدية، ورجاء المؤمنين ودعوتهم. جسد المسيح المائت صار بالقيامة ينبوعاً للحياة، واليوم، جسد القديسة والدة الإله، يظهر حاملاً للحياة ولكل شفاء لأسقام أجسادنا ونفوسنا.

كل أجساد القديسين وبقاياهم المقدسة تهب البركة والنعمة للكنيسة، لكونها آنيةً مختارةً للروح الإلهي، ولأن الموت ما عاد يملك السلطان أن يفصلها عن المسيح عنصر الحياة. ولكن العجب، الصائر في هذا اليوم، له فرادته وقيمته الخلاصية التي بدلت مسار تاريخ البشر ومعنى وجودهم. السيدة الراقدة اليوم هي والدة الإله، التي وسعت في حشاها من لا تسعه السموات. هي «خدر النور»، «الأقدس من قدس الأقداس» و«علة خلاص الكل». هي «الباب المغلق» الذي جازه سيد الكل، فعبر إلينا، إلى طبيعتنا المهشمة بالخطيئة ليستعيدها بتجسده، ويهبها على الصليب، بآلامه، جمال ملكوت السموات ومجد الحياة الخالدة. كلمة الله الأزلي، الإله غير المحدود، اتخذ من العذراء جسَدَنا، ليمنحنا في هذا الجسد المأخوذ حياته الإلهية. فانبثت الحياة في الخليقة، بعد طول غربة، وانفصال الإنسان عن وجه خالقه.

أساسُ هذا السر بهاءُ مريمَ العذراء، هذه الفتاة من الجليل، «الممتلئة نعمة» (لو١:٢٨)، والتي قبلت دعوة الملاك. قبلت إرادة الله كما لم يقبلها بشر من قبلها، فكانت مشيئته للمرة الأولى «كما في السماء كذلك على الأرض»، وكان ولوج النور الأزلي إلى أرضنا، المظلمة ببؤس الخطيئة وشقاء الانقطاع عن الشركة مع الله، استعادة لطبيعة الأنام المشتتة في الخطايا.

وما تمجيد العذراء الحاصل منذ حياتها الأرضية وفي جسدها المائت، إلا ثمرة لسيرتها الروحية الشريفة المنزهة عن العيوب، ولفعل الروح القدس في شخص الإنسان المحب لله. هذا هو معنى الحياة التي انتقلت إليها العذراء، «أم الحياة»، منذ الآن، وهي بعد في الجسد.

وأمراض فليتناولوا الدواء، وليلجأوا إلى المدبر الإلهي للصحة الروحية «الذي أخذ أمراضنا وحمل أسقامنا» (متى ٨:١٧)، ولا يبقوا بعيدين عن الطبيب.

ان دم الرب، للمؤمن الذي يتناوله بعد استعداد، يصبح باباً مقفلاً للنفس يمنع دخول ما يوسّخها ويلطخ الحياة الروحية، أو بالأحرى يقفل كل أبواب النفس بعد طرده للمدمر ليجعل من القلب هيكلاً لله ينسكب فيه بالمناولة الإلهية. ان دم الذبائح لا يسمح بوجود الأصنام في هيكل سليمان. دم المخلّص الكريم لا يسمح أن تبقى... «رجسة الخراب في الهيكل» (متى ٢٤:١٥) بل يسند الروح بالروح السيدي كما يضرع النبي داود، ويهب الطمأنينة العميقة للإنسان. لا أرى ضرورة أن أقول عن هذا السر أكثر مما قلت. إذا اتصلنا بالمسيح بسرّ الشكر والصلاة والمطالعة الروحية والأفكار السامية العالية فعندئذ نروّض النفس على كل الفضائل ونحفظ الوديعة الصالحة التي يتكلم عنها الرسول بولس بالنعمة التي نلناها بواسطة الأسرار، بالإضافة إلى ان الرب هو المتمم لها والحافظ للنعمة في أرواحنا والمهيّء المؤمن لقبول النعمة، «بدوني لا تستطيعون أن تفعلوا شيئاً».

القديس نيقولا كاباسيلاس

وهذه العلاقة ما بين النقاوة وتمجيد الإنسان بالروح القدس يوضحها القديس غريغوريوس بالاماس مشيراً إلى أن السيدة والدة الإله «بإنكارها كل رباط أرضي... آثرت السيرة الروحية، فأقامت في الأقداس. وتخطت كل القيود الأرضية، رافعةً ذهنها إلى فوق، وبالصلاة، رجعت إلى ذاتها... وتجاوزت صخب انشغال الأفكار، ناظرةً في السماء الطريق الجديدة التي لا ينطق بها، والتي هي سكينة الأفكار. وإذ حثّت السير نحو هذه الطريق، غير خاضعة للأمور الحسية، ارتقت فوق الخلائق، وعاينت، بما يفوق النبي موسى، مجد الله ونعمته الإلهية. وباشتراكها في هذه المشاهدة، صارت الكلية القداسة، بالحقيقة، السحابة النيرة للماء الحي وفجر النهار السرّي».

مريم سيدتنا أضحت بنفسها وجسدها هيكلاً للإله، فتحقق فيها قول الأنبياء أن رب المجد يسكن في شعبه، «وهو يكون لهم إلهاً وهم يكونون له شعباً» (لاويين ٢٦:١٢، و٢ كورنثوس ٦: ١٦).

والإنسان يقبل الإله في عمق كيانه، كما قبلته مريم. وهذا القبول، هذه الموافقة للمسيح هي الأساس لانغراسنا في حياة الله وأبديته، أساس تمجيد الإنسان بالنعمة الإلهية أي قداسته. نحن ندعو الروح القدس ليسكن فينا، نفتح له باب الإرادة والنفس. وهو يتولى تطهيرنا، نحن الخطأة، من كل أدناس النفس والجسد، لنشابه مريم الفائقة القداسة، ولو قليلاً. الرب ينظر إلى عجزنا وضعفنا، يتطلع إلى وضاعتنا، ويرحمنا ويخلّصنا بشفاعات السيدة والدة الإله. وهذه السكنى للثالوث المحيي فينا، والتي تحصل في سر المعمودية، تمتد بالتوبة، والمناولة الإلهية، وسائر الأسرار، لتقدّس وجودنا في واقع الجسد والمجتمع والتاريخ، لتقدّس يومياتنا، وتعطي معنى لكل لحظة في حياتنا.

قداسة مريم، التي لا مثيل لها في تاريخ الإنسانية، هي مبدأ خلاصنا نحن الخطأة. بصلوات السيدة ودالتها الوالدية نجوز سبيل العمر بالسلامة ونتم حياتنا بسلام وتوبة. وقد ننتقل نحن أيضاً إلى الحياة، إن تعلّمنا من رقادها اليوم معنى الحياة الحقة، ومعنى المحبة والطاعة ليسوع المسيح.

عيد رقاد السيدة

بمناسبة عيد رقاد سيدتنا والدة الإله الفائقة القداسة يترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة صلاة الغروب عند السادسة من مساء الخميس ١٤ آب وخدمة القداس الإلهي عند التاسعة والنصف من صباح الجمعة ١٥ آب في كنيسة نياح السيدة في رأس بيروت.

أمسية مرتلة

بمناسبة صوم السيدة تُقيم جوقة القديس رومانوس المرنم في أبرشية بيروت أمسيَّة مرتلة عند السابعة من مساء الأحد ١٠ آب ٢٠٠٨ في كنيسة دير القديس جاورجيوس في سوق الغرب.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb